المحاضرة الثالثة:البعد الوطني والقومي في الشعر العربي الحديث

توطئة:

يمثل البعد الوطني والقومي الارتباط الجغرافي والوجداني لفئة ممن البشر بمنطقة جغرافية معلومة، تجمع هؤلاء البشر مشتركات تميزهم عم غيرهم كالتاريخ واللغة والعرق واللسان وغيرها، وتعتبر القومية العربية واحدة من أهم القومات التي توحد صنفا من الناس ضمن مسمى العرب أو القومية العربية، وقد خلقت هذه القومية على مدار التاريخ الحديث عواطف الأخوة والتآزر بين أبناء الضاد، وقد كان لنا في الثورة الجزائرية مثالا واضحا في تآزر العرب مع ظلم أصاب إخوتهم الجزائريين، من هنا تمثل القومية إرتباط الجسد الواحد بعضه ببعض، إذا تداعي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالذود والدفاع.

أولا اللغة والتاريخ بوصفهما أساس القومية والوطنية:

تعتبر اللغة العربية والتاريخ المشترك أهم ما يميز القومية العربية عن غيرها، وهي من أبرز مظاهر الشعور القومي العربي الواحد، ولا نعني باللغة اللسان الواحد أو الجهاز النطقي الذي يتحدث به الجماعة اللغوية في إطار جغرافي معين، وإنما نعني بها الثقافة الواحدة والشعور النفسي الواحد والإحساس اللغوي والثقافي الواحد، وههنا يتدخل التاريخ ليصنع هذه الثقافة والحالة النفسية والإحساس الواحد، فهو المشترك الذي جعل الجماعة تعيش البعد الحضاري الواحد، وتحمل الهم الفكري الواحد وتتطلع لمستقبل واحد.

إن اللغة والتاريخ هما الفضاء الوحيد للشعور بالقومية والانتماء ، فقد كانت الذائقة المشتركة والشعرية المتشابهة دافعا ليعبر الشاعر العربي عن رفضه للظلم، ودعوته للاستقلال والنهضة والاتحاد، وقد عبر إبراهيم اليازجي عن حقيقة القومية العربية حين قال:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب

فيم التعلل بالآمال تخدعكم وانتم بين راحات الفنا سلُبٌ

الله أكبر ما هذا المنام فقد شكاكم المهد واشتاقكم الرب

ومن يعش ير والأيام مقبلة يلوح للمرء في أحداثها العجب

لقد كانت دعوة ابراهيم اليازجي دعوة عاطفية لإعادة اللحمة بين بني العرب، ودعوة صادقة للنهوض من المهد وتجديد العهد بالسيف، وهذا ماسجلته قصيدة بطاقة هوية للشاعر الفلسطيني محمود درويش، وهي القصيدة التي رسمت معالم العربي التاريخية واللسانية والثقافية، يقول درويش:

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم.. سيأتي بعد صيف

فهل تغضب

سجل

أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

أسل لهم رغيف الخبز،

والأثواب و الدفتر

من الصخر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب

كانت اللغة والتاريخ سبيلا للدعوة للوحدة العربية ، وتبيان مقوماتها وفي هذا يقول علي الجازم:

تذوب حشاشات العواصم حسرة إذا دميت من كف بغداد أصبع

ولو صد عن من في سفح لبنان صخرة لدك الأهرام هذا التصدع

ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بوادي النيل للنيل أدمع

ثانيا الشعر الجزائري بوصفه شعرا قوميا وطنيا:

يعتبر الشعر الجزائري الحديث شعرا وطنيا وقوميا بامتياز، فقد تغنى شعراء الجزائر بوطنهم منذ الثورة، وتغنوا ببلادهم العربية في كثير من قصائدهم، وأبدوا تضامنهم المطلق مع قضاياهم القومية، وأدركوا أن دور الشاعر يتعدى حدود الحاضر" بل إن دور الشاعر الريادي لا يقف في حدود النظر إلى الواقع والتفاعل مع الحاضر فحسب، إنما دوره أن ينظر إلى مستقبل شعبه، وأن يهيئ التربة الصالحة للخلف".

أن استشعار قيمة الأرض والمحافظة عليها هي باب من أبواب الدعوة إلى المستقبل والحفاظ عليها، وقد عبر في هذا الشأن الشاعر صالح خباشة عندما تحدث عن ثورة الجزائر واعتبارها تأسيسا لجيل الغد، حيث يقول:

اسمعوها صرخة من كل ثائر صرخة المدفع والرشاش هادر

وحدة القطر وشعبي في الجزائر غاية الثوار في أرض المفاخر

يابلادي أنا أقسمت بثاري أنا دون النصر لا تخمد ناري

ألف جيل مستعد للطواري فاحذروا اليوم بني الغرب قراري

لن تمسوا اليوم بالتقسيم داري لن تمدوا يدكم نحو الصحاري

فاسمعوها صرخة من كل ثائر لن تنالوا أي شبر في الجزائر

خاتمة:

لقد شكل البعد الوطني والقومي قوام النص الشعري الحديث والمعاصر، وذلك لاشتراك شعوب الوطن الواحد في هموم وأزمات متشابهة فكان الشاعر لسان حال قومه وناطقا رسميا باسمه، فقد عبر الشاعر عما يحدث في فلسطين والجزائر وتونس والعراق وسوريا ومصر وكل البلدان العربية دون الإحساس بعدم الانتماء لوطن من هذه الأوطان، فتصلت كل موضوعاتهم بقضايا أمتهم العربية في إطار التفاعل الإيجابي مع هذه القضايا.